أحاديث الترغيب والترهيب
في البيان النبوي وأثرها
في قراءة القرآن الكريم
وحفظه وتدبره
دراسة بلاغية نقدية

د: هدى أحمد الذماري

أستاذ البلاغة والنقد المساعد-قسم اللغة العربية

كلية الآداب-جامعة الملك عبد العزيز

أحاديث الترغيب والترهيب في البيان النبوي وأثرها في قراءة القرآن الكريم وحفظه وتدبره (دراسة بلاغية نقدية).

هدى أحمد الذماري
أستاذ مساعد- البلاغة والنقد - قسم اللغة العربية-كلية الآداب-جامعة الملك عبد العزيز- المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: halthmari@kau.edu.sa

ملخص البحث :امتدح البيان النبوي الشريف القرآن الكريم ذلك الفيض الرباني الذي أنزله الله رحمة للعالمين، للأثر العظيم الذي يتركه حفظه وتدارسه وتلاوته وتدبره في نفوس أهله وخاصته، وما تصطبغ به أخلاق حفظته وقيمهم ومعاملتهم، فيظهر رقيهم العالي في طريقة كلامهم، وفي تواضعهم الجم، وفي تعاملهم مع الناس، وتتجلي حكمتهم في طرق مواجهتهم عقبات الحياة بكل ثقة في الله -ﷻ.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز أهم الظواهر البلاغية المتمثلة في أحاديث الترغيب والترهيب المتفردة في بيانه عليه الصلاة والسلام، وأثرها في توجيه المسلمين وترغيبهم في حفظ القرآن الكريم وتدارسه وتدبره، وفي ترهيبهم من الإعراض عنه وتركه.

وقد تناول البحث ثلاثة محاور على النحو التالي: المحور الأول: مفهوم الترغيب والترهيب ومكانته في البيان النبوي الشريف. المحور الثاني: أساليب الترغيب الواردة في أحاديث الإقبال على القرآن الكريم وحفظه. المحور الثالث: أساليب الترهيب الواردة في أحاديث البعد عن القرآن والانشغال عنه.

الكلمات المفتاحية:
بلاغة – وصايا – فضائل – القرآن الكريم – الترغيب والترهيب– حفظ – تدبر.

Hadiths of encouragement and intimidation in the prophetic statement and their effect on reading, memorizing and contemplating the Holy Quran A critical rhetorical study

Hoda Ahmad Al-Dhamari
Assistant Professor of Rhetoric and Criticism - Department of Arabic Language - College of Arts - King Abdulaziz University
halthmari@kau.edu.sa

Abstract: The Noble Prophet's statement praised the Holy Qur'an that divine emanation, which God has sent down as mercy to the worlds, for the great impact that he left in preserving, studying, reciting and contemplating on the souls of his family and his own, and the morals that he preserved and their values and treatment with, so that their high sophistication appears in the way they speak, and in their great humility, and in They deal with people, and their wisdom appears in the ways they face life's obstacles with confidence in God -mighty and majestic-.

This research aims to highlight the most important rhetorical phenomena represented in the hadiths of encouragement and intimidation that are unique in his statement, may peace and blessings be upon him, and their effect on directing Muslims and encouraging them to memorize, study and contemplate the Holy Qur'an, and to intimidate them against turning away from it and leaving it.

The research deals with three axes as follows:

The first axis: the concept of carrot and stick and its place in the noble prophetic statement.

The second axis: the methods of encouragement mentioned in the hadiths of seeking and memorizing the Noble Qur'an.

The third axis: the methods of intimidation mentioned in the hadiths being distant from the Qur'an and distracted from it.

Key words: rhetoric - commandments - virtues - the Holy Quran - encouragement and intimidation - memorization - contemplation.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين الذي اقتضى أن يكون القرآن الكريم رحمة وسعادة للعالمين، والصلاة والسلام على نبينا الكريم محمد –صلى الله عليه وسلم– خاتم الأنبياء والمرسلين.

أما بعد فإنَّ من كريم عناية البيان النبوي الشريف ما يجده الباحث من أحاديث كثيرة بأساليب بليغة مشوقة ومتنوعة هادفة تظهر من النظر في سطورها وثناياها وصايا قيمة في أهمية حفظ القرآن الكريم، فينبجس من غاياتها جوانبَ تُرغبُ في حفظ كتاب الله والإقبال عليه بكل الطرق، وأخرى تُرهب وتنفر من تركه والإعراض عنه، وفي هذا البحث ستتم دراسة بعضٍ من الأحاديث المختارة الواردة في البيان النبوي في فضائل قراءة القرآن الكريم وحفظه ومدارسته، وكذلك الأحاديث التي تنفر من تركه والإعراض عنه، ومن ثم تحليلها تحليلاً بلاغيًا يتناسب مع أهداف هذا البحث ومنهجيته.

موضوع البحث:

دراسة الأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة المرغبة التي أوصت بقراءة القرآن الكريم وحفظه وتدارسه ونهت ورهبت عن تركه والإعراض عنه؛ لبيان الأثر العظيم الذي تتركه أساليب الترغيب والترهيب في الحديث النبوي في تغيير سلوكيات وتوجهها نحو الأفضل لإصلاح حياة المسلم، فحفظ القرآن الكريم نعمة من النعم العظيمة، وفرصة من الفرص الكبيرة التي وهبها الله لأهل القرآن الكريم، وفي تركه الخسران الحقيقي في الدنيا والآخرة.

مشكلة البحث وتساؤلاته:

يحتاج المؤمن إلى الزاد الذي يتقوى به إيمانه، وإلى البلاغة الناصعة التي تشحذ عقله بنور البيان العربي فتضيء له طريقه في فهم مقاصد الدين، وعندما يشير البيان النبوي، ويوصي المؤمن بأهمية القرآن الكريم من خلال أسلوبين عظيمين كالترغيب والترهيب تنجلي للمؤمن الفطن مقارنة عجيبة ترسم له حياة أهل القرآن، وما فيها من النعيم في الدنيا والآخرة، وتقابلها حياة تاركيه

والمعرضين عنه، وما يجدونه في حياتهم من البؤس والشقاء، ومن أهم

تساؤلات البحث:

– ما مفهوم الترغيب والترهيب في البيان النبوي؟ وما مكانة هذا الأسلوب في البيان النبوي، وما علاقة الترغيب والترهيب بالدراسة البلاغية؟

– ما تأثير الوصايا التي ذكرها البيان النبوي في الترغيب في قراءة القرآن وحفظه وتدارسه في نفوس المؤمنين؟ وما تأثير أسلوب الترهيب من ترك القرآن الكريم في نفوس المؤمنين؟ وهل ظهرت أساليب بلاغية أخرى بالإضافة إلى أسلوبي الترغيب والترهيب؟ وما تأثير هذه الأساليب والصور البلاغية في توضيح الأغراض والمقاصد التي ازدان بها الحديث النبوي الشريف وتراكيبه الفريدة؟

أهداف البحث:

أولاً: الإشارة إلى أهمية أسلوبي الترغيب والترهيب في تربية عقيدة المسلم، وإيقاظ ضميره ومواطن الحس فيه.

ثانيًا: توضيح مكانة أسلوبي الترغيب والترهيب في البيان النبوي الشريف.

ثالثًا: إيجاد العلاقة بين أسلوبي الترغيب والترهيب وبين الدرس البلاغي.

رابعًا: الكشف عن تأثير أسلوبي الترغيب والترهيب وأهميتهما في فهم دلالة البيان النبوي وعمق تأثيره في نفوس المسلمين.

منهج البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج البلاغي التحليلي الذي يُعنى بدراسة الأساليب والظواهر المعينة في فهم البيان النبوي الشريف من خلال النظر والتأمل والتحليل الدقيق للصور البلاغية والمحسنات اللفظية، وأثرها في فهم أسلوبي الترغيب والترهيب، ومن ثم إظهار أثر جودة التراكيب الكامنة في أحاديث المصطفى –عليه الصلاة والسلام–في فهم مدلول الحديث الشريف.

الدراسات السابقة:

أولاً: الترغيب والترهيب في السياق القرآني، للدكتور كفايت الله همداني، محاضر بقسم اللغة العربية، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور – باكستان، العدد الثاني والعشرون، ٢٠١٥م، وقد أشار الباحث إلى أسلوب الترغيب والترهيب في القرآن الكريم ، في حين تشير الدراسة الحالية إلى أسلوب الترغيب والترهيب في البيان النبوي ووجهة الدراسة بلاغية، أما الموضوعات التي ذكرها الباحث في باب الترغيب والترهيب فمنها الترغيب في عبادة الله جل وعلا والترغيب في طاعة النبي–ﷺ والترغيب في القرآن الكريم والترغيب في الإيمان واليوم الآخر وفي الجهاد والتوبة وبر الوالدين، وغير ذلك من الموضوعات التي تناولتها الدراسة في حين ركزت الدراسة الحالية على جانب واحد فقط هو الترغيب في حفظ القرآن الكريم وتدارسه والترهيب من تركه والإدبار عنه.

ثانيًا: الترغيب والترهيب في شعر صدر الإسلام، د. شاكر محمود عبد علي (أطروحة دكتوراه) كلية الآداب الجامعة المستنصرية،١٤١٩هـ – ١٩٩٨م ص/١٤، وقد تطرق الباحث إلى تناول موضوعات العقيدة وصلتها بالترغيب والترهيب وأشار إلى العبادات والأخلاق ثم رهب من الأخلاق السيئة، ثم تتبع الأمثلة الشعرية المتعلقة لدراسة هذه القيم مما يدلل على الاختلاف البين بين هذه الدراسة والدراسة الحالية.

ثالثًا: أساليب الرسول–صلى الله عليه وسلم–في الدعوة والتربية، رسالة ماجستير، يوسف خاطر حسن الصوري كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد،١٩٩٥م، وقد تناولت هذه الدراسة صفات المربي وهو النبي عليه الصلاة والسلام، وكذلك أساليبه في التربية عليه الصلاة والسلام، وذلك من خلال عرض بعضًا من الأحاديث الدالة على ذلك، مما يبين الاختلاف بين أهداف الدراسة السابقة، والدراسة الحالية.

رابعًا: أسلوبي الترغيب والترهيب في القرآن الكريم والسنة النبوية وبعديهما التعليمي والتعلمي، ساهرة عبد الله ضاحي، الدراسات الإسلامية، مجلة كلية التربية للبنات، المجلد ١٨، العدد ١ (٣١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٧)، الناشر جامعة بغداد كلية التربية للبنات، تاريخ النشر، ٢٠٠٧-١٢-٣١، دولة النشر: العراق، توجه الدراسة الرئيسي هو التربية والتعليم ، ومحور هذه الدراسة أهمية طرق التدريس في العملية التربوية، وعلاقتها بين المعلم والمتعلم التي تتحقق من خلال التوجيه والإرشاد، فجعلت الباحثة نقطة انطلاق الدراسة من النبي عليه الصلاة والسلام، وذكر الوسائل التي استعان بها عليه الصلاة والسلام في التربية والتعليم، ثم استعانت الباحثة بأسلوبي الترغيب والترهيب في القرآن الكريم لتحقيق أهداف دراستها، ومن خلال مطالعة الأهداف والموضوعات في هذه الدراسة يتبين الفرق بينها وبين الدراسة الحالية وأهدافها.

مدخل:

الترغيب والترهيب من الأساليب التربوية الحكيمة التي اتبعها البيان النبوي استلهامًا من البيان القرآني كمنهج ديني تربوي تقييمي يعالج به –عليه الصلاة والسلام–كل ما يعتري النفس الإنسانية من اعوجاج سببه ضعف أو خوف أوشكّ أو شدّة أو استبداد، وذلك من خلال أقوال محددة أو مواقف معينة منه– صلى الله عليه وسلم–تدعو المسلم إلى التوازن والاعتدال في كل أمر من أمور الحياة الدينية والدنيوية.

والترغيب والترهيب من الأساليب التربوية الناجحة التي تتناسب مع كافة أنواع الشخصيات، سواء الشخصيات اللينة التي تقبل الحق، أو الشخصيات المعاندة والمتجبرة، أو الشخصيات الجاهلة في أمور دينها؛ لأنَّ الترغيب والترهيب من الظواهر الأسلوبية التي امتلأ بهما البيان النبوي، وهما أيضًا من الأساليب التي تخاطب العقل؛ ولذلك كثر استعمالهما في التربية الدينية والحياتية عمومًا.

المحور الأول

مفهوم الترغيب والترهيب

ومكانتهما في البيان النبوي الشريف

الترغيب مصدرٌ مأخوذ من الفعل رغب، ويُقصد بالترغيب الرغبة في الشيء[١]، والرَّغْبة هي السُّؤالُ والطَّمَع في الثواب[٢]، وأسلوب الترغيب يختلف باختلاف المقامات الخطابية، وباختلاف القائل نفسه، فأسلوب الترغيب الذي أقره البيان النبوي الشريف يعدُّ أسلوبًا دعويًا تربويًا في المقام الأول، ومقاماته الشريفة–صلى الله عليه وسلم– لا تكون إلا ترغيبًا في الفضائل العظيمة، كالعبادات والأحكام الشرعية ومحاسن الأخلاق التي تستحق الثواب، وليست كأساليب الترغيب الصادرة من البشر التي قد يقع منها ما يدعو النفس ويستميلها في بعض المواقف للوقوع في الآثام والرذائل وسفاسف الأمور، وذلك بترغيب الناس في الشهوات والانغماس فيها، وهذه الرغبات قد يقبل عليها الإنسان، وترغب نفسه فيها، إلا أن الفطرة الصحيحة ترغب عن ذلك، كون الأصل في الترغيب والطمع أن يكون في الفضائل والمثل العليا التي في عاقبتها خير الإنسان وصلاحه وفلاحه.

والترهيب مصدر مأخوذُ من الفعل رهب، والرهبةُ هي الخوف الشديد والفزع[٣]، والتخويف أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله أيضًا، ومن الأساليب التربوية الناجحة، فإذا خاف الإنسان وفزع ترك المعصية، وأقبل على الله خوفًا من العقاب الذي ينتظره.

لذلك كان لأسلوبي الترغيب والترهيب أهمية كبرى، ومكانة عالية في البيان النبوي الشريف، ويزداد الأمر حرصًا، وإدراكًا منه ﷺ إذا كان الترغيب،

---

(١) . مقاييس اللغة، جـ/٢، باب الراء والغين وما يثلثهما، مادة: رغب، صـ٤١٥.

(٢) . انظر: لسان العرب، جـ/٥، باب: الراء، مادة: رغب، صـ٢٥٤.

(٣) . انظر: لسان العرب، جـ/٥، باب: الراء، مادة: رهب، صـ٣٣٧.

أو الترهيب في أمر هام يتعلق بعقيدة كل مسلم ومسلمة، فقراءة القرآن عبادة أساسية من أهم العبادات وأجلها، كون المسلم يقرأ القرآن في صلاته وفي دعائه، وفي آناء الليل، وفي أطراف النهار، ويقرأ المسلم القرآن أيضًا؛ ليفهم أمور دينه من أحكام وتشريعات وأخلاقيات، ويقرأ في القرآن الكريم؛ ليعرف أخبار وقصص الأولين، ويأخذ منها العظة والعبرة، ويقرأ القرآن أيضًا ليدرك، ويؤمن بالغيبيات الأخروية، كأوصاف الجنة ونعيمها والنار وجحيمها، كون الإيمانُ بالغيبِ من مكملات الإيمان التي فرضها الله على عباده؛ ولتلك الأسباب مجتمعة أو غيرها ذكر ﷺ أحاديث في فضائل القرآن الكريم تحث وترغب في الإقبال على حفظه وتدارسه، وأخرى ترهب من الإدبار عنه.

والترغيب والترهيب من الأساليب البلاغية الأكثر ورودًا في البيان النبوي الشريف لما لهما من أثر كبير على نفس المخاطب كتربية العقل والضمير وإيقاظهما من الغفلة والنسيان، كونهما يعتمدان على التقابل بين الأضداد، والتقابل من المحسنات البديعية التي تؤثر في المعاني بطريقة إبداعية مؤثرة لتحقيق أهداف وغايات.

ويجمع البيان النبوي الشريف بين التقابل اللفظي أي بين لفظة وما يقابلها، وبين التقابل المعنوي التي يكون التقابل فيهما من جهة المعنى دون اللفظ كأسلوبي الترغيب والترهيب، وإذا كانت المقابلة في الألفاظ من أسباب زيادة الحسن في الكلام، فإن التقابل المعنوي يرسخ المعاني في الذهن، ويحقق الغايات المرجوة من الإتيان به، ويكشف عن قيم الأشياء، ويدعم الفكرة من خلال المقارنة بين الثواب والعقاب، فيعلم الإنسان أن وراء الترغيب ثوابٌ حسنٌ، فيقبل على العبادات والطاعات والفضائل أملاً في ثواب الله –عز وجل – وفي الوقت نفسه يرى خلف الترهيب عقابا شديدا، فلا يركن إلى الدنيا ومتاعها القليل، فتقلع نفسه عن المعاصي والآثام، وبذلك يمزج الأسلوبان معًا نوعًا من التعاضد المتوازن في التربية والتقويم.

وينبع التأثير من أسلوبي الترغيب والترهيب في الحديث النبوي من خلال انتقاء الحديث لألفاظ الترغيب بدقة عجيبة، وعندما يستمع إليها المخاطب أو يقرأها يجدها تدور في فلك الألفاظ الجميلة المحببة للنفس، فلا يوجد مقياس يقيس به المخاطب جمال هذه الألفاظ ووفائها للمعنى إلا ما تحمله من مزية الصدق، والحرص والترغيب وقوة العاطفة التي تغرس في نفس المخاطب المعاني المقصودة في العقل بطريقة سهلة ومباشرة الأمر الذي يبرهن شدة تأثير الترغيب والترهيب في عملية التربية والتعليم، وفي المقابل نجد أن ألفاظ الترهيب تحمل نفس المصداقية التي يستشعرها القارئ في الترهيب، والحرص على ترك المحذور وعدم الاقتراب من المحظور، وفي هذا أكبر دليل على تأثيرها على المخاطب.

وقد يرد الحديث النبوي حاملاً معنى الترغيب فقط أو الترهيب، وقد يردان معًا في حديث واحد، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه، عن عمر بن الخطاب – ﷺ–عن النبي ﷺ قال: "**إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ**" (١).

وهذا الحديث الشريف الذي رواه –عمر بن الخطاب –ﷺ– عن النبي ﷺ من الأحاديث التي تبين عظم المساواة التي فرضها الإسلام بين المسلمين، فمن شأن القرآن أن يرفع مكانة الإنسان ويعلي من نسبه، وإن كان في قومه وضيعا، ولهذا الحديث مناسبة عظيمة وقصة فريدة يرويها الصحابي نافِعَ بنَ

(١) – رواه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بهما وعلمها رقم الحديث ٨١٧، ص٣٦٥، ونص الحديث كاملاً كالآتي: عن عامر وائلة أَنَّ نَافِعَ بنَ عبدِ الحَارِثِ، لَقِيَ عُمَرَ بعُسْفَانَ، وَكانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ علَى مَكَّةَ، فَقالَ: مَنِ اسْتَعْمَلْتَ علَى أَهْلِ الوَادِي، فَقالَ ابْنَ أَبْزَى، قالَ: وَمَنِ ابنُ أَبْزَى؟ قالَ: مَوْلًى مِن مَوَالِينَا، قالَ: فَاسْتَخْلَفْتَ عليهم مَوْلًى؟ قالَ: إنَّه قَارِئٌ لِكِتَابِ اللهِ ﷻ، وإنَّه عَالِمٌ بالفَرَائِضِ، قالَ عُمَرُ: أَما إنَّ نَبِيَّكُمْ ﷺ قدْ قالَ: إنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ.

عبدِ الحَارِثِ عندما سأله عمر بن الخطاب – ﷺ– عن الوالي الذي استعمله لأهل الوادي، فرد عليه أنه ولى عليهم واليًا من الموالي[1] يُدعى ابن أبزي[2]، فتعجب عمر – ﷺ– من هذا الاختيار في بداية الأمر؛ فوضح له نافع بنَ عبدِ الحَارِثِ –ﷺ– سبب اختيار ابن أبزي دون غيره من الناس بقراءته لكتاب الله الكريم، وعلمه بالفرائض ، فلم يستنكر عمر بن الخطاب–ﷺ– ذلك، وذكر حديث النبي ﷺ: "**إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ**".

وهذا الحديث خبر أخبر به النبي ﷺ مؤكدًا لكل من كان مترددًا، أو منكرًا شأن أهل القرآن الكريم، بأن الله رفعهم وفضلهم على سائر الناس.

وفي الحديث النبوي إشارة عظيمة إلى أهمية القرآن الكريم والترغيب في الإقبال عليه، فالشأن والمكانة والرفعة التي ينالها قارئ القرآن في الدنيا، ويجد أثرها في حياته تعد حافزًا قويًا يدفع الإنسان إلى الاستمرار في قراءة القرآن الكريم والإقبال عليه، وهذه الرفعة ليست قاصرة على الحياة الدنيا، فهناك رفعة الآخرة، حيث الثواب العظيم والنعيم المقيم، وفي مقابل هذا الثواب إشارة أخرى إلى العقوبة التي تنتظر تارك القرآن والمدبر عنه، وهي الضعة في الدنيا والضعة في الآخرة أيضًا، والفعل يضع ضد الفعل يرفع؛ لأن الضِّعَةُ تخالف الرِّفْعَةِ فِي الْقَدْرِ، فيقال: رَجُلٌ وَضِيعٌ، والرجل الوَضِيعٌ، ضِدُّ الرجل الشَّرِيفِ، وَالْوَضِيعُ من الناس: الدَّنِيءُ الذي في حَسَبِهِ ضِعَةٌ، والضَّعَةُ: الذُّلُّ وَالْهَوَانُ

(١) – لكلمة المولى العديد من المعاني كالمالك، والناصر، والقريب، والمعتق، والناصر وغيرها، والمولى قد يكون من العرب أو العجم أو من العبيد الذين أعتقوا؛ وفي هذا السياق وردت الولي بالذي يَلِي عليك أَمرك ثم انظر: لسان العرب، مادة: ولي.

(٢) – عبدا لرحمن بن أبزي صحابي من صغار الصحابة، من رواة الأحاديث النبوية، وكان فقيهًا، وهو مولى نافع بن عبد الحارث، ثم انظر سير أعلام النبلاء، جـ/٣، صـ٢٠٢.

وَالدَّنَاءَةُ [1]، فقلة القدر بين الناس، وذهاب الشرف والذل والهوان من العقوبات التي يجدها الإنسان في حياته إذا ترك القرآن وأدبر عنه.

وفي قوله ﷺ (بهذا الكتاب) تعظيم وتمييز وإجلال للقرآن الكريم، فالباء حرف جر، ومن معانيها في السياق الإلصاق الحقيقي، وتأتي(الباء) أيضًا بمعنى المصاحبة؛ لأنَّ شدة التصاق المسلم، وكثرة مصاحبته للقرآن كانت سببًا أساسيًا في هذه الرفعة، وها التنبيه وذا الإشارة لتنبيه المخاطب على حضور المشار إليه، ومدى قربه من القرآن الكريم، وأن القرآن الكريم أيضًا مشاهد ومحسوس للمبالغة في قربه من كل مسلم[2]، والتعريف للكتاب بأل العهدية؛ لأنَّ القرآن الكريم معهود ومعروف عند المخاطب[3].

وكان للتعبير بلفظ المضارع بين المتضادين (يرفع، ويضع) أُثره في المعنى كون التعبير بالمضارع أفاد دلالة استمرار حدث الرفع لأهل القرآن، وحدث الوضع بالنسبة لتاركيه.

إن المتأمل في الحديث السابق يجد تلك المقارنة العظيمة بين حال القارئ الذي يرفع قومه من حياة العبودية والذل إلى العلو وحال التارك الذي يضع قومه، وإن كانوا أصحاب مناصب أو سيادات، ويجد تلك المفارقة العجيبة بين ثواب القارئ في الدنيا والآخرة، وعقوبة التارك في الدنيا والآخرة.

وفي قوله ﷺ (أقوامًا) إشارة أخرى إلى الفضل والمنفعة، وأن هذه الرفعة ليست قاصرة على الشخص العالم بكتاب الله، وإنما تشمل رفعة قوم هذا الرجل،

(١) – انظر: لسان العرب، جـ/ ٨، باب العين، فصل الواو، مادة وضع، صـ٣٤٠.

(٢) – انظر: معاني النحو الدكتور: محمد فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، ط/١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، جـ/١، صـ٨٨ وما بعدها.

(٣) – انظر: معاني النحو الدكتور: محمد فاضل السامرائي، جـ/ ١ صـ٨٨ وما بعدها.

والقوم الجماعة من الناس، والرجال خاصة، وهم أقرباء الرجل الذين يجتمعون معه في نسب أو جدٍّ واحد(١).

ويضع به آخرين هي الخاتمة السيئة والمصير المظلم، والنهاية المرعبة التي أراد أن يوضحها النبي ﷺ لكل مسلم، فهي عقوبة في الدنيا، وفي الآخرة لابتعاده عن القرآن، والباء في (به) للإلصاق المجازي، بمعنى التصق وضعه بين الناس بسبب إدباره عن القرآن(٢).

ومن الأحاديث التي اجتمع فيها أسلوبي الترغيب والترهيب، ما رواه البخاري، عَنْ مَالِك، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: « **إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ**».(٣)

هذا الحديث النبوي الشريف يُصنف من الأمثال النبوية، وهو من أمثال التمثيل، لتصريحه بلفظة (المثل)، والتي وقعت في النص بمعنى النظير، ولوجود (الكاف)، الدّالة على التشبيه، وقد قصد به ﷺ تشبيه حال صاحب القرآن بحال صاحب الإبل المعقلة.

وحفظ القرآن الكريم وتعهده من الطاعات التي أمرنا بها الله سبحانه وتعالى، فهو كلامه المعجز المتعبد بتلاوته وتطبيقه، وفي تعهده وحفظه صلاح الإنسان وسلامته في الدارين، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هـذَا الْقُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أَقوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤمِنينَ الَّذينَ يَعمَلونَ الصّالِحاتِ أَنَّ لَهُم أَجرًا**

(١)- إعراب القرآن الكريم وبيانه، محي الدين الدرويش دار ابن كثير – دار الإرشاد، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، ط/٣ المجلد ٩ صـ٢٦٧.

(٢) – انظر: معاني النحو الدكتور: محمد فاضل السامرائي، دار الفكر للطباعة والنشر، جـ/ ٣ ط/١، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م، صـ١٩و ما بعدها.

(٣) . رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، رقمه ٥٠٣٣، وفي رواية أخرى عن أبي موسى الأشعريِّ . رضي الله عنه .، قال: قال رسولُ اللَّهِ: «تَعاهدُوا القرآنَ، فوَ الذي نفسي بيدِه لَهُوَ أشدُّ تفصِيًّا منَ الإبلِ في عُقُلِها».

كَبِيرًا ﴿٩﴾ [1]، فالقرآن الكريم فيه هداية للبشرية في جميع مجالات الحياة، لأنه يهدي لأقوم السبل وأعدلها[2].

وفي تراكيب هذا الحديث النبوي الشريف عدة مزايا وخصوصيات أظهرتها دقة الألفاظ وجودة الأسلوب الذي يتناسب والمعنى الذي قصده ﷺ، وحسن هذه التراكيب وجودتها دلالة صادقة على إعجازه البشري عليه الصلاة والسلام، وامتزاجه بتلك النفحة الربانية العظيمة، وابتداء الحديث بالخبرية بـ (إنما) أضاف إلى المعنى حسنًا وغاية، لأن (ما) الكافة وإن كفت (إن) عن عملها ، فلا يعني ذلك أنها جاءت عبثًا أو عبئا على الكلام ، وإنما وردت لنكتة بلاغية ، يوضحها الغرض من مجيء (إنما) في بداية الحديث، والذي أفاد بالخبرية معنى (الحصر)، فأصبح الكلام كله محصورًا في دائرة مخصوصة هي الترغيب في حفظ القرآن وتعاهده والمداومة عليه.

وأما الترهيب فيكون من نسيانه بترك ذلك الحفظ، ووقوع أداة الحصر في أول الجملة أفاد تأكيد العناية والاهتمام من قبله ﷺ بأمته.

وضرب المثل من الوسائل البيانية المبدعة في التعليم، كون المثل يكشف عن وجوه وخفايا كثيرة للمعنى تختلف عن سوقها بالمعنى المباشر والصريح للعبارة المجردة، كما يقوم المثل بعرض الغائب عن الذهن في معرض الحاضر؛ بهدف تقريب المعنى الذي يعين على الفهم وسرعة ثباته في نفس المخاطب، وعن طريقه يتم الوعظ والتذكير والحث والزجر بألفاظ قليلة موجزة، فجاء في سياق هذا الحديث كلمة (مثل) بصورة صريحة محسوسة دّالة على التشبيه للترغيب بالتمسك بالقرآن، فشبه ﷺ درس القرآن واستمرار تلاوته بربط البعير الذي يخشى منه الانفلات؛ لتصوير المنفعة التي ينتفع بها قارئ

(١) سورة الإسراء، الآية :٩.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ج/١٣، صـ ٣٤.

القرآن في حياته حال ارتبط بالقرآن الكريم والمنفعة المترتبة على ربط البعير وعدم انفلاته، وفي المقابل تصوير الضرر الحاصل من ترك القرآن، بانفلات الإبل وتضرر صاحبها بفقدها.

واختيار كلمة (صاحب) في هذا المثل جاءت دقيقة جدًا، ومفضية إلى غاية جليلة؛ لأن الصاحب هو الذي تلازمه وتألفه من خلال المعاشرة والصحبة، وإنما سماه الرسول ﷺ بصاحب القرآن؛ لأنه قرأ القرآن ولازمه كالصاحب، فإن الذي يداوم على قراءة القرآن يسهل عليه قراءته، فإذا هجره ثقلت عليه القراءة و أصبحت شاقة عليه [1]، وكلمة (صاحب)لا يشترط فيها أن يكون الصاحب والملازم للإنسان شخصًا معينًا، فيصح أن يُقال صاحب الكتاب، وصاحب القلم، وتصح إضافتها لأسماء الحيوان أيضًا ، كما في جملة الحديث النبوي (صاحب الإبل)، ومن مرادفات (الصاحب) الخليل، والقرين، والصديق، ومع اتفاق هذه المرادفات في المعنى إلا أنها قد تفترق في الدلالة والاستعمال اللغوي؛ لأن لفظة الصاحب تدل على الملازمة والمصاحبة مع أي شيء يصاحبه الإنسان ويلازمه، ومن دلالات استعمال لفظة الصحبة ما يشير إلى انتفاع أحد الصاحبين من الآخر[2]، وفي هذا دلالة على دقة اختيار الألفاظ واتفاقها مع المعنى، وفي إضافة لفظة القرآن لكلمة (الصاحب) فائدتان جليلتان هما :التعظيم لهذا الصاحب الذي نال هذا الشرف بمصاحبة القرآن، والاختصار الذي يقتضيه مقام المثل وهو الإيجاز، وفي جملة صاحب الإبل قيمة أفادت المقصد منها، وفي اختصاص الإبل بهذه الصحبة دون غيرها من الحيوانات الأليفة التي كان يقتنيها الإنسان يظهر المقصد من انتقائها في

(١) انظر: لسان العرب، جـ/١١، باب اللام، فصل الخاء مادة خلل، صـ٢١٦، وما بعدها، وجـ/١، باب الباء، فصل الصاد، مادة: صحب، صـ٥١٩، وما بعدها.

(٢) – انظر: الفروق اللغوية، لابي هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، تحقيق وتعليق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م، صـ٢٨٣.

جملة المثل، فالإبل يصحبها الإنسان في حله وترحاله، ويستفيد من لحومها وألبانها، وقد تكون هذه الفوائد موجودة عند بعض الحيوانات الأخرى كالأبقار والضأن والماعز إلا أن مقصد المثل اتجه اتجاهًا آخرًا في انتقاء الإبل خاصة، ليوضح صفة خاصة من صفات الإبل ، فهي وإن كانت من أشد الحيوانات ألفة وصحبة إلا أنها من أشد الحيوانات نفورًا عند تركها دون قيد، وفي تحصيلها بعد نفورها صعوبة شديدة، وهذا ما أراد تقريبه لأصحابه من صورة صاحب القرآن وتشبيهه بصاحب الإبل.

والإبل الْمُعَقَّلَةِ: كلمة أخرى من قلائد الحسن في المعنى، فاختيار لفظة (الْمُعَقَّلَةِ) لها دلالتها في توجيه مقصد الحديث النبوي ولها أثرها في إدراك المعنى المقصود ، ومن معاني العقل: المنع والإمساك، ومن معانيه الحبس والربط عن تعاطي القبيح، وإنمَّا سمي عقل الإنسان عقلاً ؛لأنه يمنع صاحبه من الجحود والكفر(١)، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يبين للناس أهمية ربط البعير وعقلها حتى لا تتفلت من صاحبها، وإذا كانت لفظة عقل قد أفادت مجرد الربط فقط، فإنَّ كلمة (معقلة)، قد أفادت مع الربط معنى آخر هو شدة الربط للمبالغة في الحرص والاهتمام وعدم الإهمال، والمقصد الذي أراد توصيله ﷺ هو تعليمهم الحرص والاجتهاد في تعاهد القرآن مثلما يحرص صاحب الإبل على إبله ويحكم ربطها حتى لا تتفلت منه.

ويلاحظ على هذا التصوير البياني في هذا الحديث النبوي حرصه ﷺ بربط كلامه بالواقع والبيئة، وهذا مما يرسخ المعنى في الذهن، ويؤنس النفس لاتصال المعنى بالواقع.

وفي المثل النبوي إيجاز بالحذف اقتضاه مقام المثل، والقرينة الدّالة على الحذف الجار والمجرور (كَمَثَلِ) المتعلقان بالخبر الواجب الحذف المقدر

(١) – انظر: لسان العرب، جـ/١١، باب اللام، فصل العين، مادة: عقل، صـ ٤٥٩ ومابعدها.

(بكون عام)، ومن فوائد الإيجاز بالحذف هنا الاختصار لضيق المقام، وكلمة مثل الأولى (مثل صاحب القرآن) دلت على تشبيه صاحب القرآن من إلفه للقرآن ومداومة قراءته وحفظه بصاحب الإبل المعقلة، وفي المشبه به (كمثل) اجتمعت (كاف) التشبيه مع كلمة (مثل) لتأكيد هذا التشبيه، واجتماع الأداتين (الكاف ومثل) دلالة على اتفاقهما وتضمنهما معنى الوصف. فجملة صاحب القرآن كأنها تصف لنا حال صاحب القرآن مع القرآن، وكلمة صاحب الإبل المعقلة تصف أيضًا حال صاحب الإبل مع إبله المعقلة، وهذا التشبيه يُعد من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس.

وإذا انتقلنا إلى جملتي (إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)، عبارة عن جملتين شرطيتين متضادتين ومتقابلتين في المعنى للدلالة على وقوع الشرط في المستقبل:

الأولى: (إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا)، ومقصدها الترغيب، فالتعاهد مرتبط بقوة المسك ومجي فعل الشرط بصيغة الماضي له أثره في المعنى؛ لدلالته على وقوع الحدث في الماضي، ووقوعه بعد (إن) الشرطية أكسبه تجدد الحدوث واستمراريته؛ لأن (إن الشرطية) تستخدم مع الأمور التي يُشك في وقوعها أو يندر وقوعها، فالمعاهدة على القرآن قد تكون دائمة وقد تكون متقطعة[1]، وسيقت جملة الشرط هذه لبيان وجه الشبه فيما سبقها من الكلام في قوله ﷺ: **(إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ)**، لذلك استغنت جملة الشرط الأولى عن وصلها بأحد حروف العطف، وكلمة (أمسكها) أي: حبسها عن طريق ربطها بالحبال، كناية عن سهولة انقياد الإبل أثناء ربطها بالعقال، كما أن في اختيار حرف الجر (على)، دون غيره من

(١) – الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تأليف / أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، (ت٤٦٧–٥٣٨هـ)، تحقيق وتعليق ودراسة: عادل عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، ج/١، صـ٥٤٦.

حروف الجر له ارتباط بالمعنى أيضًا، لأن (عليها) أفادت في سياق هذا المثل معنى المصاحبة.

الثانية: (وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)، ومقصدها الترهيب؛ لأن ذهاب الإبل مرتبط بإطلاقها دون قيد، ومعنى (أطلقها) أي جعلها بدون قيد، وفي الجملة أيضًا كناية عن شدة نفور الإبل حين إطلاقها من غير قيد.

وقد جاء الوصل في جملتي الشرط:(إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)، بالواو لقصد التشريك بينهما في الحكم؛ ولشدة ارتباط الجملتين وتناسبهما، فلو اكتفينا بجملة الشرط الأولى:(إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا)، لم يظهر المعنى المقصود ، وسيصبح المعنى مبهمًا عند المخاطب ، وإنما في مجيء الجملتين الشرطيتين يظهر المعنى المقصود، ومن أسباب الوصل بالواو بين الجملتين أيضًا وجود الجامع الذهني بين الكلمات المتقابلة(عاهد عليها، وأطلقها)، وبين (أمسكها وذهبت)، وانتقال الذهن بين هذه المعاني المتقابلة من أحدهما إلى الآخر ظهر المعنى المراد بوضوح .

ومن تأثير فهم هذا النص يتضح المقصد الأصلي الذي أراده النبي ﷺ، وهو ترغيب المسلم في الحث على تعاهد القرآن والمداومة عليه وتلاوته، والترهيب والتحذير من تعريضه للنسيان، لأن هذا المقصد يجعل الإنسان متوجهًا إلى الله الواحد المعبود، وإفراده بالقصد إليه في كل حال، ولأنَّ في حفظ القرآن هو حفظ للدين الذي هو لب المقاصد، ومن وسائل حفظه الاشتغال به، سواء أكان بتلاوته، أم بتدبر معانيه، فهو من أفضل العبادات والاشتغال به أساس الدين، وهذا المقصد الأصلي له مقاصد تابعة منها التعرُّف على ما في القرآن من الهدى والعلم النافع، فالله سبحانه أودع فيه علم كل شيء، فإنه يتضمن الأحكام والشرائع، والأمثال، والحكم، والمواعظ، والتاريخ، ونظام الكون، فما ترك شيئاً من أمور الدين إلا بيَّنه، ولا من نظام الكون إلا أوضحه.

المحور الثاني
أساليب الترغيب الواردة في أحاديث
الإقبال على القرآن الكريم وحفظه

من الأحاديث التي وردت في الترغيب دون ذكر ألفاظ الترهيب، ما رواه البخاري في صحيحه في فضل قراءة القرآن وتعلمه، عن عثمان -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ أنه قال: **(خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ)**(١).

وهذا الحديث الشريف من الأحاديث الموجزة ذات المعاني الغزيرة والأهداف العالية والقيم الأصيلة، وقد بدأ هذا الحديث بذكر فضل من تعلم القرآن الكريم من خلال ورود اسم التفضيل الوارد في بداية الحديث في قوله ﷺ: "خيركم"، فخير اسم تفضيل، ومن دلالات اسم التفضيل الاشتراك في صفتين أو في شيئين مختلفتين، لكن في لفظة اسم التفضيل (خير) عمق أبعد في المعنى المقصود، فوقوع خيركم في بداية الحديث يدل على أن تعلم القرآن هو خير الأعمال على الإطلاق، ولا يقارن ذلك بعلم آخر، وهو أعلى درجة من درجات التفضيل بعكس وقوع اسم التفضيل بين شيئين قد اشتركا في بعض الصفات، وفُضل أحدهما على الآخر.

ويعتبر تعلم القرآن أفضل من أي علم آخر يتعلمه الإنسان، لأنَّ القرآن أساس العلم، وإذا عرف الإنسان مكانة القرآن الكريم وفضله على سائر العلوم رغب به وأقبل على تعلمه، ومن دلالات الابتداء باسم التفضيل (خير) أيضًا(٢)، التعظيم والثواب للمفضل، وهو القرآن الكريم، وهذا التعظيم وهذا الفضل يلحق أيضًا بمتعلم القرآن، ولاشك أن الابتداء باسم التفضيل (خير) يُعد من أبرع الابتداءات، كونه يحمل عنصر التشويق، ودلالة الترغيب في الوقت نفسه، فإذا

---

(١) – رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقمه، ٥٠٢٧، صـ٩٩٨.

(٢) – انظر: الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، د. عز الدين علي السيد، ط/١ ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م ، دار اقرأ صـ٤٠٥.

بدأ القائل بلفظة مبشرة بالخير كـ(خيركم) ودالة على الترغيب، تشوقت النفس، وترقبت سماع الخبر، فإذا جاء الخبر وتوافق مع رغبتها المترقبة استأنست النفس واستقرت وأقبلت على الخير، والتعبير بمَن الموصولة له أثره في فهم مدلول الكلام، فهي لفظة دقيقة جدًا في الاختيار متناسبة مع المعنى، فمن الموصولة في هذا السياق دلت على أن الخطاب في هذا الخبر لعموم الناس العقلاء، فكل إنسان من الممكن أن يكون من خير الناس مهما كان وضعه في مجتمعه، ويكفيه شرفًا أن يكون خير الناس عند الله تعالى بتعلمه القرآن الكريم، وتعليمه للناس، وإذا كان مقياس الناس الأساسي عند الله هو التقوى كما ورد في قوله تعالى: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)، فإن مقياس الخيرية بين الناس هو تعلم كتاب الله تعالى وتعليمه؛ لأنَّ القرآن هو أفضل العلوم، ومن تعلم القرآن وعلم أحكامه وفروضه، وأوامره ونواهيه صار به عالمًا.

كما دلت الواو العاطفة بين جملتي (تعلم القرآن وعلمه) على الاشتراك في الخيرية؛ وخير الناس من يجمع بين علم القرآن وتعليمه، وتعلم القرآن يشمل تدارسه وإتقانه وحفظه ومعرفة علومه وأحكامه، ولا يقتصر هذا الخير على من تعلم القرآن الكريم فقط، فالخير يعم أيضًا كل من يساهم ويساعد في تعليم القرآن الكريم بنفسه أو بأي طريقة مناسبة هدفها تعليم القرآن، فمن الناس من يكفل طلبة القرآن، ومنهم من يتكفل بمدرسي القرآن، ومنهم من يتكفل بمدارس حفظ القرآن، ومنهم من يبني المساجد، ويخصص أماكن لحفظ القرآن، ومنهم من يطبع المصاحف ويقوم بتوزيعها، ومنهم لا يستطيع ما سبق، فيحبب أبناءه أو من يعولهم في حفظ القرآن، ويهيأ لهم كل الوسائل لحفظ القرآن، وغير ذلك من أنواع الفضل.

ومن فوائد اسم التفضيل في هذا الحديث إعطاء مساحة واسعة من التأويل والتنويع في المعاني والدلالات، وفي الحديث تعريض واضح فإذا كان خير الناس من تعلم القرآن الكريم وعلمه، وفي هذا ترغيب، فإنَّ شر الناس هو من أدبر عن القرآن، وترك تعليمه أو وقف ضد تعلمه وتعليمه.

ومما ورد من هذا البيان ما رواه مسلم في صحيحه، عن أبي أمامه الباهلي أنه قال، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ -ﷺ-قُولُ: «**اقْرَأُوا الْقُرْآنَ. فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ البَقَرَةَ، وسُورَةَ آلِ عِمْرانَ، فإنَّهُما تَأْتِيانِ يَومَ القِيامَةِ كَأنَّهُما غَمامَتانِ، أوْ كَأنَّهُما غَيايَتانِ، أوْ كَأنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ، تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما، اقْرَؤُوا سُورَةَ البَقَرَةِ، فإنَّ أخْذَها بَرَكَةٌ، وتَرْكَها حَسْرَةٌ، ولا تَسْتَطِيعُها البَطَلَةُ، قالَ مُعاوِيَةُ: بَلَغَنِي أنَّ البَطَلَةَ: السَّحَرَةُ.** [وفي رواية]: **غيرَ أنَّه قالَ: وكَأنَّهُما في كِلَيْهِما، ولَمْ يَذْكُرْ قَوْلَ مُعاوِيَةَ بَلَغَنِي.**(١)

هذا الحديث النبوي الشريف من الأحاديث الموجزة في ألفاظها والغزيرة في معانيها، وقد بدأه -عليه الصلاة والسلام- بفعل الأمر (اقرأوا)، وأسلوب الأمر من الأساليب الأكثر ورودًا في ألسنة العرب، ويقتضي الأمر أن يكون المأمور دون الآمر في الرتبة التي توجب الامتثال من المأمورين للآمر، وهو النبي الكريم -ﷺ-، وغرض الأمر في هذا المقام النبوي الشريف النصح والإرشاد وحث جميع المسلمين بأهمية قراءة القرآن الكريم، وقراءة القرآن تشمل مطلق القراءة سواء من المصحف أو من المحفوظ،(٢) وتشمل أيضًا كل عمل يدل على قراءته كتعلّمه، وتدبّره، وفهمه والتعبد به، والتأمل في بيانه الكريم، ومعرفة أسرار إعجازه، والعمل بما جاء وورد فيه، وهذا الأمر ليس قاصرًا على أصحاب النبي -ﷺ- أو محدودًا بمرحلة زمنية، بل هو أمر ممتد منه -ﷺ- لمستقبل الأمة الإسلامية إلى أن تقوم الساعة، وبما أن هذا الأمر قد صدر من جهة الاستعلاء، فإنه أمر حقيقي واجب وملزم في تنفيذه، والعمل به، ويتحقق بتنفيذه الثواب والترغيب فيه، وبتركه توجب العقوبة والترهيب منها، وفي هذا المقام يصور لنا البيان الشريف تمثُّل القرآن الكريم في صورة يراها الناس في يوم القيامةِ، ليكون شفيعًا لمن يقرؤه، والعاملين بما فيه.

---

(١) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، رقمه: ٢٥٢-(٨٠٤) صـ٣٦١

(٢) - التيسير بشرح الجامع الصغير - محمد عبد الرؤوف المناوي، جـ/١، دار الطباعة الخديوية دار النشر: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض ،١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ط/٣، صـ١٩٣.

ثم ينتقل -ﷺ- من الجملة الإنشائية إلى الجملة الخبرية عن طريق الاستئناف الذي ينقل المخاطب إلى مرحلة عالية من التشويق والاستثارة لمعرفة السبب من هذا الأمر الصادر من أصدق البشر في بيان السبب في أهمية قرآن القرآن في الدنيا، وما تفعله وتحققه هذه القراءة من الثواب الحاصل في الآخرة، فجاءت الجملة الخبرية المؤكدة لتنفي كل شك أو ريبة في كون القرآن الكريم سيكون شفيعًا لصاحبه يوم القيامة، كون المخاطب يعلم في قرارة نفسه ما تحويه أخبار النبي -ﷺ- من معلومات وحقائق وأخبار صادقة، وفي الجملة الفعلية (يأتي شفيعًا)، مجاز قد يحمل الكلام على الحقيقة، فيأتي القرآن الكريم شفيعًا لأصحابه بالكيفية التي يعلمها الله -ﷻ-، وقد يحمل على المشابهة والتمثيل، وذلك لتقريب صورة إتيان القرآن يوم القيامة، ونطقه بالشفاعة لصاحبه ، وتحديد الشفاعة بيوم القيامة، كونه اليوم الذي تُفصل فيه الأعمال وتُقاس فيه، وترجح فيه الموازين بالعدل، وفي هذا اليوم يحتاج الإنسان للشفاعة، فحينها تكون الشفاعة من أعمال الإنسان الصالحة في الدنيا كالصيام والقراءة القرآن، وفي قوله -ﷺ- لأصحابه، وصاحب القرآن الملازم له، والأسلوب كناية عن كثرة القراءة وطول المصاحبة، وتعني المصاحبة أيضًا من يعمل بمقتضاه ويطبق أحكامه وأوامره ونواهيه ليفوز بالجنة.

ثم كرر -عليه الصلاة والسلام- الأمر مرة أخرى بقوله: اقْرَؤُوا لتقرير المعنى وتأكيده وتقويته وتعظيمه في نفس المخاطب(١).

والمقصود من (الزهراوين) البقرة وآل عمران، وسميتا بهذا الاسم؛ لأنَّ في قراءتهما نور وهداية وأجر عظيم في يوم القيامة(٢)، ولما فيهما من كثرة

(١) - انظر: المصباح في المعاني والبيان والبديع، بدر الدين بن مالك الشهير بابن الناظم، تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف ط/١، ١٤٠٩-١٩٨٩م، المطبعة النموذجية بالحلمية الجديدة، صـ٢٣٣.

(٢) - انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض اليحصُبي، تحقيق يحيى إسماعيل، دار الوفاء، ط/١، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م جـ/٣، صـ١٧٣.

الأحكام، وأسماء الله الحسنى فلذلك كان أثر نورهما في قلب المؤمن [١]، وقد شبه –عليه الصلاة والسلام– هاتين السورتين لفضليهما وثوابهما العظيم بالغمامتين التي تظلل الإنسان، والمقصود أن ثواب قراءتهما يأتي مثل الظلة التي تظلل قارئهما في يوم القيامة ، ثم استطرد –ﷺ– وذكر عدة تشبيهات، فقال:" كأنَّهما غيايتان"[٢]، وهذا تشبيه آخر غرضه زيادة التوضيح؛ لبيان فضلهما وثوابهما في تظليل الإنسان والمقصود من الغَيايَة كل شيء يظل الإنسان فوق رأسه كالسحب ونحوها، والغَيايَة السحابة المُنْفَرِدَة الواقِفة أو الظل والغَيايَة ظِلُّ السَّحابة، وغيايتان والتثنية لهذه الظلال جاءت متوافقة مع عدد السورتين، فكل سورة منهما لها ظلة تظلل صاحبها بها، ثم ذكر تشبيها ثالثا للتأكيد على الفضل والثواب، في قوله–ﷺ: "كَأَنَّهُما فِرْقانِ مِن طَيْرٍ صَوافَّ[٣]، تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما"، والمقصود بالفِرْقانِ الجماعتان من الطير، والصَّوافُّ هي الطير التي تَصُفُّ أَجْنِحتَها وتبسطها، فلا تحركها، وهاتان الجماعتان من الطير قد اصطفت بطريقة مستوية عجيبة فريدة لتصنع هذا الظل البديع الذي أمرها الله به أن تصنعه لقارئ الزهراوين، وليس هذا فحسب بل (تُحاجَّانِ عن أصْحابِهِما)، أي تُدافِعانِ أيضًا عن قارئهما بالحجة، وتقياه حرارة يوم القيامة، وتشفعان له يوم لا ظل إلا ظل الله –ﷻ، فأي جمال لغوي، وأي معنى يشاهده المخاطب في هذا التشبيه، وأي ترغيب صنعه هذا البيان وجسده بهذه الصورة التي تشعر الإنسان بعظمة القرآن الكريم والفضل الذي يناله، ثم كرر للمرة الثالثة فعل الأمر (اقْرَؤُوا)؛ ليقرر وليؤكد فضل سورة البقرة والترغيب في المواظبة على قراءتها؛ لأنها بركة يستشعرها الإنسان في حياته، والبركة معناها

(١) – التيسير بشرح الجامع الصغير – محمد عبد الرؤوف المناوي، جـ/١، دار الطباعة الخديوية دار النشر: مكتبة الإمام الشافعي، الرياض ،١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ط/٣، صـ١٩٣

(٢) – انظر لسان العرب، جـ/١٥، باب الألف فصل الغين، مادة غيا، صـ١٤٤.

(٣) – انظر: لسان العرب، جـ/٩،باب الفاء فصل الصاد، مادة: صفف،١٩٤

النَّماء والزيادة[١] التي قد تحل على الإنسان من قراءة سورة البقرة، فيرى البركة في ماله وأولاده وبيته وزوجه وكل ما يملكه، فإذا كان في أخذها البركة، فإن في تركها الحسرة، وهي شدة الندم [٢]على تركها، وعدم قراءتها وضياع فضلها وبركتها، ثم يذكر فضلاً عظيمًا لسورة البقرة، وهذا الفضل هو عدم تمكن السحرة والشياطين من اختراق من تحصن بها.

ومن الأحاديث التي وردت بأسلوب الترغيب ما رواه أبو دواد، عن أَبُي مُوسَى الْأَشْعَرِيّ –ﷺ–قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: "**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ: إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَالْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**"[٣].

ورد هذا الحديث الشريف في باب تنزيل الناس منازلهم أي إعطاء القدر والمكانة المناسبة لهم في دينهم وفي علمهم وشرفهم مراعاة لمراتبهم ومقاديرهم، وأسباب تفضيل بعضهم على بعض في المجالس والمعاملات ونحوها، وفي هذا البيان الشريف يخبر – ﷺ– عن ربه بتخصيص الفضل والتبجيل من –الله ﷻ– لبعض عباده الصالحين مما يستحقون هذا الفضل العظيم، وهذا الأجر الدنيوي المستحق، وهذه المكانة الرفيعة والثناء من الله التي تُعد ثوابًا معجلاً في الدنيا، ومن هؤلاء، المسلم إذا كان شيخًا كبيرًا في سنه، والمسلم الحامل للقرآن أي الحافظ، وإكرامَ الإمامِ المسلم العادلِ الَّذي يحكم بين النَّاسِ بالحَقِّ.

ومن روائع هذا الحديث النبوي أنه دمج بين حسن الابتداء[٤] في قوله –ﷺ–"إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ" في الحديث الشريف، وأسلوب الإجمال الذي يعقبه

(١) – لسان العرب، جـ/١٠، باب الكاف فصل الباء، مادة برك، صـ٣٩٥.
(٢) – لسان العرب، جـ/٤، باب الراء فصل الحاء، مادة حسر،١٨٩.
(٣) – سنن أبي دواد، مجلد/ ٧، كتاب الأدب، رقمه :٤٨٤٣.
(٤) – من الأساليب البلاغية الشيقة حسن الابتداء حيث بدأ الحديث النبوي بإجلال الله والثناء عليه وهذا الجلال والعظمة لله في قمة الألفاظ وأعلاها في المعنى، ثم انظر أنوار الربيع في أنواع البديع، جـ/١، ص٣٤.

التفصيل ، فكلا الأسلوبين يحملان عنصري الترغيب والتشويق، لمعرفة الفئة المسلمة التي استحقت تبجيل الله وثنائه، وكان لها هذا الفضل العظيم الذي استأثرت به عند الله تعالى، وذكرها النبي -ﷺ- في بيانه الشريف، ثم انتقل -ﷺ- إلى أسلوب التفصيل، فذكر أول هذه الفئات، وهو ذو الشيبة في قوله:" إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ" والإكرام مصدر من الفعل كرم، والكريم من صفات الله -ﷻ- وأسمائه، والكريم كثير الخير والجود، والإنسان الكريم هو الجامع لأنواع الخير والشرف، والكرم اسم جامع لكل ما يحمد(١).

وإكرام الإنسان بمعنى معاملته بكل الأخلاق الكريمة والفاضلة، ومنها الاحترام والتقدير، والتوقير في المجالس، ومعاملته أيضًا بالرحمة والشفقة والعطف تقديرًا لمرحلته العمرية، وما يعتريها من التغييرات كالضعف أو ما يلازم مرحلة الشيخوخة من اعتلالات صحية، وذي الشيبة المسلم هو الشيخ الكبير في سنه، وذي الشيبة كناية عن ظهور الشيب في الرأس وغلبته وانتشاره في رأس صاحبه وهو دليل على كبر سنه، والشيب ضد الشباب.

وثاني هذه الفئات المسلم حامل القرآن، والمقصود بحامل القرآن الحافظ له، وحامل القرآن كناية عن شدة المصاحبة والحفظ للقرآن، وقيل سمي حاملا للقرآن لما يحمله قارئ القرآن من مشاق كثيرة(٢)، وصفة حمل القرآن الكريم: أي حفظه قد ينالها الكثير من الناس، لكن نوايا المسلمين في حفظ القرآن مختلفة، فهناك من يحفظ القرآن طاعة لله ورغبة في الجنة والثواب، ومنهم من يحفظه للعلم الدنيوي فقط، ومنهم من يحفظه رياء، ليقال عنه حافظ للقرآن، لذلك استثنى -عليه الصلاة والسلام- من حملة القرآن الكريم الغالي فيه

(١) – انظر: لسان العرب، مجلد ١٢، باب الميم، مادة كرم، صـ٥١٣.

(٢) – انظر: عون المعبود، على شرح سنن أبي داود، لأبي عبد الرحمن شرف الحق العظيم آبادي بن أمير بن علي بن حيدر الصديقي، مراجعة وتدقيق، محمد ناصر الألباني، اعتنى به: أبو عبد الله الأثري، دار ابن حزم، ط/١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، دار ابن حزم، كتاب الأدب، باب تنزيل الناس منازلهم، رقم الحديث: ٤٨٤٣، صـ٢٠٩٥

والجافي عنه، واستعمال أداة الاستثناء في هذا المقام له أثره في توجيه المعنى المقصود ، فغير من أدوات الاستثناء المبهمة وتفيد أنها تخالف ما قبلها لحقيقة ما بعده، وهي دالة على الاستثناء والنفي معًا [١]، وغالى بمعنى بالغ وجاوز الحد في التشديد[٢]، أو وصل بغلوه إلى حد الابتداع، وتحميل القرآن ما لا يحتمل، ومن أنواع الغلو في القرآن تحكيم الرأي، وموافقة الأهواء، وتغيير الفتوى تبعًا للهوى، ومن الغلو أيضًا التشديد في قراءة المخارج في التجويد، أو التسريع في القراءة، وهذه الأمور من شأنها أن تعيق القارئ عن تدبر معاني القرآن، الذي يعد من أهم غايات وأهداف قراءة القرآن،؛ لذلك كان الغالي مخالفًا لطبع حامل القرآن الذي يحمل القرآن طمعًا في ثواب الله، أما الجافي، فهو الذي يترك القرآن جفوة بعد تعلمه فيترك ترتيله وقراءته وقد ينسى القارئ القرآن نتيجة هذا الجفاء، والجفوة هي قسوة القلب، وعندما ينهى النبي –عليه الصلاة والسلام –عن الغلو والتفريط، فإنها يوجهنا إلى اختيار التوسط في كل أمورنا، وفي كلمة الغالي كناية عن شدة المغالاة، وكذلك في كلمة الجافي كناية عن الجفوة والبعد عن القرآن الكريم[٣]، والفئة الثالثة من الذين فضلهم الله تعالى وبجلهم الحاكم المقسط " وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ" وذي السلطان هو الحاكم والمقسط هو العادل؛ فتولي الحكم ليس من الأمور السهلة والبسيطة

(١) انظر دلالة غير وإعرابها في القرآن الكريم، للدكتور عادل محمد عبد الرحمن، الفصل الأول، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، المجلد ٢٠٠٦، العدد:٦، (٣١ أغسطس/آب ٢٠٠٦)، ٢٠٠٦-٠٨-٣١
ديوان الوقف السني مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، صـ٤٣.

(٢) انظر: عون المعبود، كتاب الأدب، باب تنزيل الناس منازلهم، رقم الحديث: ٤٨٤٣، صـ٢٠٩٥.

(٣) – انظر: سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ١٤٣٠ هـ/ ٢٠٠٩م، ط/١، جـ/٧، كتاب الأدب، ص٢١٣.

التي يتحملها الإنسان، وقد يتعرض الحاكم لمواقف عصيبة جدًا منها الوساطة في الحدود ومنها مسايرة أعيان الدولة، ولهذا السبب كان للحاكم العادل بين الناس مكانة عظيمة عند الله -ﷻ-، وكان لأسلوب التقسيم في عرض هذه الفئات الثلاث أثر عظيم في توضيح المعنى وتفصيله، واستيفاء الكلام، والإحاطة به[1]، مما كان له أكبر الأثر في معرفة السبب في تخصيص هذه الفئات بالتبجيل والتفضيل دون غيرهم.

والتقسيم نافذة بلاغية وأسلوب وعر يتطلب خبرة كافية وعميقة في نظم الكلام وترتيبه، ولا يحسنه إلا من لديه موهبة ربانية في نظم الكلام ورصفه، ولا يقترب منه إلا من امتلك زمام البلاغة واللغة، وعرف خباياها وأدرك أسرارها وخواصها، ومن تأمل هذا المصاغ النبوي وجد هذه الملكة التي تحيط بدقائق الأمور الذي لا تخطر بفكر المتلقي في بداية تلقيه للبيان، إلا بعد النظر والتأمل في بيانه -ﷺ- الناطق بالحكمة، والمنظوم بالفطرة والمدرك بالعقل، وأسلوبه القويم في كيفية توجيه المعاني لمقاصدها، وفي قدرة استدراك الألفاظ وقدرتها على تسيير المعنى، وغالبًا ما يرد التقسيم في البيان النبوي كتفصيل بعد إجمال كما في هذا الحديث الشريف.

(١) – انظر البرهان في علوم القرآن، تأليف الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث – القاهرة جـ/٣، صـ٤٧١.

المحور الثالث

أساليب الترهيب الواردة

في أحاديث البعد عن القرآن والانشغال عنه.

وفي مقابل النصوص التي جاءت تحرص على قراءة القرآن وترغب فيها وردت بعض الأحاديث التي تحذر من البعد عن القرآن وهجره أو الانشغال عنه.

١٨٦ – حدثنا أَبُو عُمَرَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْعُثْمَانِيُّ، حدثنا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ الْمَدِينِيُّ، حدثنا– جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ، عَنْ قَابُوسَ بْنِ أَبِي ظَبْيَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –ﷺ–: «**إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالْبَيْتِ الْخَرِبِ**»(١).

هذا الحديث عبارة عن خبر أخبرنا به الرسول ﷺ ليصور لنا حال الشخص الذي دخل الإسلام، وعرف القرآن وفي الوقت نفسه ليس في جوفه شيء من القرآن، وقد بدأ نص الحديث بقوله–عليه الصلاة والسلام –"إنَّ الذي" بالاسمية تخصيصًا وتأكيدًا وردًا قاطعًا لمن تردد أو شك في أهمية القرآن، و(الذي)اسم موصول أفاد إرادة العموم (٢)، فكل إنسان ذكرًا كان أو أنثى خلا جوفه من القرآن، فهو كالبيت الخرب، وليس من الأفعال الجامدة التي أفادت النفي وعدم وجود شيء من القرآن في داخل جوف هذا الإنسان، والمقصود بجوف الإنسان بطن الإنسان، ويطلق الجوف أيضًا على باطن البطن، وقيل المراد بالجوف كل ماله قوة، مثل البطن والدماغ فقوتهما محيلة، وقيل القلب، والأجوفان هما

(١) – جامع الترمذي (سنن الترمذي) (ط. الأوقاف السعودية) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى، حديث حسن صحيح، باب فضائل القرآن، رقمه: ٢٩١٣، ط/٢، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد السعودية، ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠م،

(٢) – معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، ط/١ ،١٤٢٠ هـ/ ٢٠٠٠م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج/١، صـ١٢١.

البطن والفرج لاتساع أجوافهما، والأقرب للصواب من هذه المعاني أن يكون المراد من الجوف القلب كونه المكان المعروف بالوعي والحفظ ومعرفة الله سبحانه وتعالى [١].

ولَيْسَ فِي جَوْفِهِ (شَيْءٌ) المقصود بلفظة شيء (القرآن الكريم) ، وقوله – ﷺ– من القرآن، أي بعضًا من القرآن، ثم أخبر –عليه الصلاة والسلام– عن هذا الإنسان الفارغ جوفه من القرآن بأنه كالبيت الخرب، وهذه صورة مرهبة ومرعبة لمن خلا قلبه من القرآن، وقد رسم البيان النبوي من خلال هذا التشبيه أدق صورة ممكن أن يتخيلها عقل الإنسان ويعيها، وهي البيت الخرب، وهي صفة منفرة للغاية تأكيدًا منه –ﷺ– على أهمية القرآن الكريم في إحياء حياة المسلم، واختيار المشبه به (البيت الخرب) على وجه التحديد؛ لأن البيت الخرب لا يصلح للسكنى، والخربة موضع الخراب ، والدار الخربة المتروكة للخراب، وهي التي يخرجون منها أصحابها ويتركونها للخراب، والتخريب هو الهدم[٢].

والخرب وصف للمنزل المتهالك غير صالح للسكن لما فيه من هوام أو حشرات أو شياطين تسكنه فتسبب الضرر والوحشة والتخبط والوحشة والرعب لمن دخله، وهذا الحال ينطبق على كل إنسان أعرض عن ذكر الله، فأصابه من ضنك العيش ما أصابه مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**﴾[٣]

ووجه الشبه بين الجوف الخالي من القرآن والبيت الخرب هو خلو الاثنين من تحقق متطلبات وأسباب السعادة للإنسان في سكنه ومكان استقراره،

(١) – انظر: لسان العرب جـ/٩، باب الفاء فصل الجيم، مادة: جوف، صـ٣٤.
(٢)– انظر لسان العرب جـ/١، باب الباب فصل الخاء، مادة: خرب، صـ٣٤٧و ما بعدها.
(٣) – سورة طه :٤٠.

فإذا لم توجد السعادة في الخراب فمن المؤكد أن تأتي مع العمران كون الخراب ضد العمران، وكذلك فإن تنوع المتع التي يجدها الإنسان في بيته من أسباب عمران المنزل، وعدم هجرانه، فإذا لم يجد الإنسان ما يشعره بالسعادة في بيته لعدم وجود متطلبات السعادة والمتعة فإنه لامحالة سيهجر هذا السكن، وهذا الهجران سبب من أسباب خراب المنازل.

وفي مقابل الرهبة والخوف يرى المسلم بابًا آخر للأمل والنجاة من هذه الحياة البائسة فإذا كانت هذه عقوبة من خلا جوفه من القرآن، فإنه سيقبل على القرآن لما يراه من الأثر الذي يتركه القرآن في قلب المؤمن الذي عمر قلبه القرآن الكريم من انشراح وسعادة وهداية، فقلب المؤمن العامر بالقرآن هو السكن العامر الجميل الذي يجلب السعادة لصاحبه، وبالتالي فإن هذا الحديث الشريف قد أفاد من تقريب صورة الخالي جوفه من القرآن بالبيت الخرب بأسلوب منفر ومخيف ، وفي الوقت نفسه حمل الحديث الشريف جانبًا مهمًا من جوانب الترغيب في القرآن الكريم ، فإذا كان حال الخالي جوفه من القرآن مثل البيت الخرب فإن الحافظ قلبه للقرآن فإنه مثل البيت العامر.

وهذا الحديث يبين أهمية حفظ القرآن أو بعضًا منه ليكون الجوف عامرًا بذكر الله تعالى وفي الوقت نفسه ينهى عن خلو الجوف من ذكر الله، فالبيت الخرب ضد البيت العامر، فإذا كان جوف الإنسان خاليًا من القرآن كالبيت الخرب، فإنه بالمقابل سيكون جوف الإنسان المليء بالقرآن كالبيت العامر.

ومن أحاديث الترهيب من ترك تلاوة القرآن أو هجر القرآن ما رواه الترمذي، عن أبي هريرة –رضي الله عنه–عن النبي– ﷺ– قال:**(لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، وإن البيت الذي تُقْرَأُ الْبَقَرَةِ فِيهِ لا يدخله الشَّيْطَانُ)** [1].وهذا الحديث النبوي الشريف يبين مقدار حرص النبي – عليه الصلاة والسلام– على أمته، وعلى كل ما يبعد عن المسلم الأذى من المخلوقات الضارة كالشياطين والدواب

(١) – رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، باب فضائل القرآن، رقمه: ٢٨٧٧.

والهوام وغيرها ، وقد بدأ هذا الحديث بالنهي في قوله –عليه الصلاة والسلام– (لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ) الذي خرج إلى معنى النصح والترغيب في ذكر الله تعالى وفي الترهيب الذي حمل معنى الكراهة في الإعراض عن ذكر الله ، وهذا الحديث يخاطب عموم المسلمين بأنَّ لا يجعلوا بيوتهم، كالمقابر لخلوها من ذكر الله سواء في إقامة النوافل أو في قراءة بعض آيات القرآن الكريم أو الدعاء والتسبيح ونحو ذلك مما يجعل البيوت عامرة بذكر الله ﷻ وقد خصَّ – عليه الصلاة والسلام– البيوت دون غيرها من الأماكن الأخرى، فلم يقل منازلكم أو دوركم ؛ لأن البيوت أكثر الأماكن التي يرتادها الإنسان بصفة يومية، وسمي البيت بيتًا نسبة للمبيت فيه، والبيت هو المأوى ومجمع الشمل[١]، أما المنزل فهو اسم مكان للمكان الذي ينزل فيه الإنسان، ويُقال نزل في المكان: أي حل فيه، والمنزل موضع النزول، والمنزل ما يُهيَّأ فيه للضَّيف ليأكل أو ينام فيه[٢]، أَما لفظة الدَّارُ فإنَّها اسم جامع للبناء والمَحَلَّةِ، وكلُّ موضع يحل به قوم من الأقوام ، فهو دَارُهُمْ، وتسمى الدنيا دَارُ الفَناء، وتسمى الآخرة دَارُ القَرار وكذلك دَارُ السَّلام، فإذا وجد الإنسان راحته في بيته وجد الأمان والسعادة، وإذا لم يجد الراحة وجد في بيته الشقاء والعثرات، وقد شبه النبي عليه الصلاة والسلام البيوت الخالية من ذكر الله بالمقابر، والمقابر هي المدافن التي يدفن فيها الإنسان ، والمقبرة هي مكان دفن الموتى ولا تجوز الصلاة فيها لاختلاطها بنجاسات الموتى، وكذلك المسلم إذا مات لم يستطع الصلاة[٣]، ووجه الشبه بين المقابر والبيوت الخالية خلوهما من الأنس بذكر

(١) – انظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، جـ/١، باب الباء والياء وما يثلثهما، مادة: بيت ص٣٢٤.

(٢) – انظر: لسان العرب، جـ/١١، باب اللام، فصل النون، مادة: نزل، صـ٦٥٦، وما بعدها

(٣) –انظر: لسان العرب، جـ/٥، باب الراء فصل القاف، مادة قبر، صـ٦٨ وما بعدها.

الله تعالى واشتراكما في الوحشة والخوف وعدم القدرة على الذكر والصلاة، وفي ذلك إشارة إلى أهمية الذكر والصلاة في البيوت.

ثم انتقل عليه الصلاة والسلام من أسلوب النهي الذي يحمل الصورة المنفرة والمرهبة من خلو البيوت من الذكر إلى أسلوب التقرير الذي يحمل صورة الترغيب، وفي هذا الأسلوب يقرر – عليه الصلاة والسلام – أهمية قراءة القرآن الكريم ،ويبين للناس أجمعين أن قراءة سورة البقرة في البيت سبب لعدم دخول الشيطان إلى هذا البيت، وهذا فضل عظيم يجده كل إنسان يقرأ في بيته القرآن، ويقرأ سورة البقرة على وجه الخصوص لما فيها من الفضل العظيم، فالنبي –عليه الصلاة والسلام– هو اعلم الناس بشرور الشيطان وأذاه للإنسان، فلذلك يرهب أمته عن ترك ذكر الله ويرغب جميع المسلمين في فوائد ذكر الله تعالى في البيوت.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ،،،

الخاتمة

الحمد لله الذي من علينا بنعمه ظاهرة وباطنة لنصل بحمده وشكره إلى هذا المقام الذي لُخصت فيه خاتمة هذا البحث، والتي تمثلت في الآتي:

١- حرص النبي-عليه الصلاة والسلام-واهتمامه بأمته وإرشادها إلى الخير بكل الوسائل، وتحذيرها من الوقوع في الشر بكل الوسائل الممكنة.

٢- الترغيب والترهيب من الأساليب البلاغية الأكثر ورودًا في البيان النبوي.

٣- للترغيب والترهيب في البيان النبوي مسلك تربوي وتعليمي مختلف عن غيره في مزاياه، موحد في مقاصده، متوافق مع جميع الشخصيات البشرية على اختلاف طبيعتها، وتغير زمانها؛ لصلاحية البيان النبوي لكل زمان ومكان.

٤- الترغيب والترهيب إذا اقترن بالصور البلاغية فإن تأثيرها في المعنى والفهم أقوى من الأساليب المباشرة.

٥- من آثار أسلوب الترغيب ترغيب النفوس في الإقبال على أفعال الخير برغبة ومحبة وقناعة طمعًا في الثواب والفضل العظيم.

٦- من آثار الترهيب ترهيب النفوس ونفورها من المعاصي والآثام، والانصراف عنها قناعة وكراهية وخوفًا من عقاب الله.

٧- الترغيب والترهيب يربيان العقل على التفكير الذي يعلو بهمة الإنسان إلى الأفضل، وهما من وسائل السلامة والاستقامة الصحيحة في الدنيا.

٨- أساليب الترغيب التي وردت في البيان النبوي الشريف في فضل قراءة القرآن الكريم أكثر من الأساليب التي وردت في الترهيب من تركه وحفظه والإقبال عليه، مما يدل على أهمية أسلوب الترغيب وعظمه في التربية.

٩- التدقيق في معاني الترهيب أو الترغيب يكشف عن التصاق هذين الأسلوبين وتقابلهما في المعنى، فكل ترغيب يعقبه ترهيب في المعنى، وكل ترهيب يعقبه ترغيب في المعنى.